الظنُّ الإنساني من منظور قرآني

(دراسة موضوعية)

د. محمود هاشم محمود عنبر

الجامعة الإسلامية غزة – فلسطين

يتناول البحث التفسير الموضوعي لموضوع قرآني بعنوان: (**الظنّ الإنساني من منظور قرآني – دارسة موضوعية**)، ويتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تحدث الباحث في المقدمة عن أهمية البحث، وأهم أهدافه، وفي المبحث الأول تحدث عن الظن ومشتقاتها في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني، وتحدث في المبحث الثاني عن أنواع الظن في القرآن الكريم، حيث قسم الباحث الظن إلى نوعين: ظن محمود وظن مذموم مبيناً وجوه وصور كل نوع منهما، وتحدث في المبحث الثالث عن عقوبات الظن المذموم الدنيوية والأخروية، وكل ذلك في إطار دراسة تفسيرية محكمة، وقد خُتم البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

the research consists of an introduction and three sections and a conclusion , the researcher spoke in the introduction about the importance of research , and in the first section talked about the conjecture and its derivatives in the language and terminology and context, the Qur'an , and occur in the second topic of the kinds of conjecture in the Koran, where the department researcher conjecture into two types: thought Mahmoud thought blameworthy indicating the object and picture of each type of them , and spoke in the third section for sanctions probably reprehensible worldly and eschatological , all in the context of the study of interpretive Court

نظراً لأهمية هذا الموضوع القرآني لمساسه واقع الناس في حياتهم كما يتعلق بمصيرهم بعد مماتهم، رأى الباحث أن يتناول موضوع الظن من كل جوانبه وأطرافه، وتحت عنوان: (**الظن الإنساني من منظور قرآني – دراسة موضوعية**)، وفي إطار دراسة تفسيرية قرآنية محكمة.

تتمثل أهدافها في:

1- بيان شمولية القرآن الكريم لكل مناحي الحياة الإنسانية.

2- إبراز دور القرآن الكريم في علاج المشكلات الاجتماعية حيث إن مشكلة الظن بكل أنواعه من المشكلات الاجتماعية القديمة الحديثة.

3- بيان اهتمام القرآن الكريم بموضوع الظن وذلك من خلال ورود كلمة الظن ومشتقاتها في اثنتين وستين موضعا من كتاب الله موزعة على ثلاث وخمسين آية وثلاث وثلاثين سورة.

4- التأكيد على أن الظن ينقسم إلى قسمين: ظن محمود وظن مذموم، ولذلك أمر الله سبحانه عباده أن يجتنبوا كثيراً من الظن وليس الظن كله.

5- بيان عقوبات الظن المذموم الدنيوية والأخروية.

6- إثراء العلوم الإنسانية ببحث محكم يتناول موضوع الظن في إطار دراسة تفسيرية موضوعية.

المبحث الأول: الظن في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني

المطلب الأول: معنى الظن لغةً واصطلاحاً والعلاقة بينهما:

أولاً: معنى الظن لغةً:

الظن في اللغة بمعنى العلم ومنه قوله تعالى: [**إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ**] {الحاقَّة:20} أي علمت، والظنَّة بمعنى التهمة، والظِّنين المتهم الذين

تظنُّ به التهمة ومصدره الظِّنَّة والجمع الظِّنَنْ، ويقال: ظننت به معناه جعله موضع ظنِّي ومظنَّةُ الشيء موضعُه ومألَفُهُ الذي يظنُّ كونه فيه والجمع المظان.

وأظننته الشيء أوهمته إياه، وأظنَنْتُ به الناس عرضته للتهمة، والظِّنّين المعادي لسوء ظنِّه وسوء الظنِّ به.

والظَّنونَ الرجل السيء الظَّن بكل أحد، وتطلق على الرجل قليل الخير، والظَّنِين هو الذي نسأله ونظنُّ به المنع فيكون كما ظننت، والرجل الظَّنُون الذي لا يوثق بخبره [1].

والظَّنُّ التردد الراجع بين طرفي الاعتقاد غير الجازم، والتظني إعمال الظن وأصله التظنن، ومظِنَّةُ الشيء بكسر الظاء موضع يظنُّ فيه وجوده [2].

والظنُّ مصدر من باب "قَتْل" وهو خلاف اليقين، وقد يستعمل بمعنى اليقين كما في قوله تعالى: [**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**] {البقرة:46} ، وظنين على وزن فعيل بمعنى مفعول والظِّنَّة بالكسر اسم من ظَنَنْتُه إذا اتهمته [3].

فمن خلال استعراض المعاني اللغوية السابقة يتبين للباحث أن الظنَّ في اللغة يأتي على معان عديدة منها: العلم، والتهمة، وموضع الشيء ومألفه الذي يُظَنُّ كونه فيه، كما وتطلق على الوهم، وتطلق أحياناً لفظة الظنون على الرجل السيئ الظن والذي لا يوثق بخبره كما ويأتي الظن في اللغة على التردد وخلاف اليقين، ويطلق على اليقين أحياناً.

---

[1] انظر: "لسان العرب" – لابن منظور – ج13 ص 274، 275- دار الفكر 1410هـ

[2] انظر:"القاموس المحيط" – للفيروز آبادي – ص 1094- مؤسسة الرسالة ط 7 1410هـ.

[3] انظر: "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي" – تأليف أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ص 386، 387 – طبعة دار الفكر.

ثانياً: معنى الظنِّ اصطلاحاً:

تتبع الباحث المعنى الاصطلاحي للظن في كتب التفسير القديمة والحديثة وخرج بالمعاني الآتية:

1- الإمام الفخر الرازي: "الظن هو الاعتقاد الذي يقارنه تجويز النقيض" [1].

2- وقد عرفه الإمام الشوكاني بقوله: "أصل الظن الشك مع الميل إلى أحد الطرفين وقد يقع موقع اليقين في مواضع" [2].

3- أما الإمام الطاهر بن عاشور فقد عرفه بقوله: "علم بما لم يتحقق إما لأن المعلوم لم يقع بعد ولم يخرج إلى عالم الحس، وإما لأن علم صاحبه مخلوط بشك" [3].

4- وعرفه الإمام الجرجاني بقوله: "هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ويستعمل في اليقين والشك" [4].

5- وأما الإمام الأصفهاني فقد عرفه بقوله: "هو اسم لما يحصل عن أمارة، متى قويت أدت إلى العلم ومتى ضعفت جداً لم يتجاوز حد الوهم" [5].

---

[1] التفسير الكبير- للإمام محمد الرازي فخر الدين – م2 ج3 ص 54 – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان 1414هـ/ 1994م.

[2] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني – ج1 ص 79- مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،ط3/ 1383هـ/1964م.

[3] التحرير والتنوير – تأليف سماحة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور م14 ج29 ص 130- دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس.

[4] التعريفات للجرجاني -ج1 ص 187- دار الفكر، بيروت – لبنان.

[5] المفردات في غريب القرآن – للراغب الأصفهاني ص 317- طبعة دار المعرفة- بيروت.

وبالنظر في التعريفات السابقة لم يجد الباحث تعريفاً للظن جامعاً مانعاً، فقام بالجمع بين تعريفي الإمام الرازي والجرجاني وخرج بتعريف اصطلاحي للظن وهو: "هو الاعتقاد الذي يقارنه تجويز النقيض ويستعمل في اليقين والشك".

ثالثاً: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية:

من خلال تتبع الباحث للمعاني اللغوية والاصطلاحية للفظة "ظن" يتبين أن المعاني اللغوية أعمُّ وأشمل من المعاني الاصطلاحية وأن المعنى الاصطلاحي هو جزء من المعاني اللغوية.

المطلب الثاني: ظنَّ ومشتقاتها في السياق القرآني:

أولاً: الآيات المكية:

م	الآية	رقمها	السورة
1-	[... إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ]	116	الأنعام
2-	[... إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ]	148	الأنعام
3-	[... إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ]	66	الأعراف
4-	[وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ ...]	171	الأعراف
5-	[... وَجَاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ...]	22	يونس
6-	[... وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ...]	24	يونس
7-	[وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا ...]	36	يونس
8-	[وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ يَوْمَ القِيَامَةِ ...]	60	يونس
9-	[... وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ إِنْ	66	يونس

	يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ...]		
10-	[... وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ]	27	هود
11-	[وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ...]	42	يوسف
12-	[حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ...]	110	يوسف
13-	[يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا]	52	الإسراء
14-	[... فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا]	101	الإسراء
15-	[... وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا]	102	الإسراء
16-	[... قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا]	35	الكهف
17-	[وَرَأَى المُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ...]	53	الكهف
18-	[وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ...]	87	الأنبياء
19-	[مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ...]	15	الحج
20-	[وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الكَاذِبِينَ]	186	الشعراء
21-	[... فَاجْعَلْ لي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الكَاذِبِينَ]	38	القصص
22-	[وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ]	39	القصص
23-	[وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ...]	20	سبأ
24-	[فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ]	87	الصافات
25-	[... وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ...]	24	ص
26-	[وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ...]	27	ص

27-	[... فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ...]	37	غافر
28-	[وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ]	22	فصلت
29-	[وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الخَاسِرِينَ]	23	فصلت
30-	[وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ]	48	فصلت
31-	[...وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى ...]	50	فصلت
32-	[وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ]	24	الجاثية
33-	[وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ]	32	الجاثية

34-	[إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ ...]	23	النجم
35-	[إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ المَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى * وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا]	27، 28	النجم
36-	[إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ]	20	الحاقة

37-	[وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا]	7	الجن
38-	[تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ]	25	القيامة
39-	[وَظَنَّ أَنَّهُ الفِرَاقُ]	28	القيامة
40-	[إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ]	14	الانشقاق

ثانياً: الآيات المدنية:

م	الآية	رقمها	السورة
1-	[الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ]	46	البقرة
2-	[وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ]	78	البقرة
3-	[... فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ ...]	230	البقرة
4-	[...قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً...]	249	البقرة
5-	[... يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ ...]	154	آل عمران
6-	[... مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ...]	157	النساء
7-	[... وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ...]	118	التوبة
8-	[لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ...]	12	النور
9-	[... وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا]	10	الأحزاب
10-	[وَيُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ وَالمُشْرِكِينَ وَالمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ...]	6	الفتح
11-	[بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالمُؤْمِنُونَ إِلَى	12	الفتح

	أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ...]		
12-	[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ...]	12	الحجرات
13-	[هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ ...]	2	الحشر

ثالثاً: دراسة وتحقيق حول ورود لفظة ظنَّ ومشتقاتها في السياق القرآني:

وردت لفظة ظن ومشتقاتها في القرآن الكريم في اثنين وستين موضعاً موزعة على ثلاث وخمسين آية وثلاث وثلاثين سورة وذلك بين الآيات المكية والمدنية.

أولاً: ورودها في الآيات المكية:

وردت لفظة ظنَّ ومشتقاتها في الآيات المكية في خمس وأربعين موضعاً موزعة على أربعين آية وأربع وعشرين سورة.

ثانياً: ورودها في الآيات المدنية:

وردت لفظة ظنَّ ومشتقاتها في الآيات المدنية في سبع عشرة موضعاً موزعة على ثلاث عشرة آية وتسع سور.

ثالثاً: موضوعات الآيات المكية والمدنية التي وردت لفظة ظنّ ومشتقاتها في سياقها:

تحدثت الآيات المكية التي وردت لفظة ظنّ ومشتقاتها في سياقها حول موضوعات عديدة تتناسب وتتلائم وتنسجم مع حالة الدعوة في بدايتها ومهدها حيث تحدثت هذه الآيات عما كان يعتري الأمم الماضية من الظن السيئ بأنبيائهم وخاصة في وعيد الأنبياء لأقوامهم بنقمة الله وعذابه وظنهم السيئ بعدم صدق أنبيائهم فيما يبلغون.

كما تحدثت هذه الآيات المكية عن ظنِّ كفار مكة بعدم بعثهم ونشورهم وعودهم إلى الله للوقوف بين يديه وللحساب والعقاب على تكذيبهم وعنادهم.

كما تحدثت عن اتباع الكفار لآبائهم في عباداتهم الباطلة ظناً منهم أنهم كانوا على صواب وأن تلك الآلهة تنفع وتضر وتعطي وتمنع.

كما تحدثت الآيات المكية عن ظنِّ كفار مكة بأن الله لا يعلم كثيراً مما يعملون وعدم ظنهم بأن الساعة قائمة وأن الله سيبعث من في القبور.

كما تحدثت هذه الآيات عن ظنّ كفار مكة بالملائكة سوءاً مدعين بهذا الظن أنهم بنات الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

أما الآيات المدنية فقد اختلفت موضوعاتها باختلاف طبيعة الدعوة وحالة المدعوين، فقد تحدثت هذه الآيات عن ظنِّ المنافقين بالله ظنَّ السوء خاصة وأن النفاق ظهر في المدينة المنورة بعد أن قام للدعوة قائمة واشتد عودها، وقويت شوكتها و عن ظنِّ أهل الكتاب بكتبهم وشريعتهم أنها الحق، كما تحدثت عن ظنِّ بعض المؤمنين بالسيدة عائشة رضي الله عنها ارتكاب الفاحشة إنكاراً وزوراً، وكان ينبغي على المؤمنين جميعاً أن يظنوا بأنفسهم خيراً، وعدم الالتفات إلى شكوك – المنافقين – واتهاماتهم.

كما تحدثت الآيات المدنية عن ظنِّ اليهود الخائب بأن حصونهم مانعتهم من الله وهؤلاء هم يهود بني النضير الذين خاب ظنهم ومضت عليهم سنة الله ، كما تحدثت الآيات المدنية عن ظنون بعض المؤمنين بالله الظنونا يوم الأحزاب إذ بلغت القلوب الحناجر وابتلي المؤمنون ابتلاء عظيماً، وزلزلوا زلزالاً شديداً.

كما نلاحظ أيضاً أن الآيات المدنية تحمل توجيهات عظيمة للمؤمنين في المجتمع المدني على اعتباره أنه مجتمع إيماني وذلك باجتناب الكثير من الظن مبينة لهم أن بعض الظن إثم.

ونلاحظ بعد هذا السرد لموضوعات الآيات المكية والمدنية أن هذه الموضوعات تتلائم مع واقع الدعوة وطبيعة المدعوين في كل مرحلة من مراحل الدعوة سواء في المرحلة المكية أو المدنية.

المطلب الثالث: نظائر الظن في السياق القرآني:

تتبع الباحث آيات القرآن الكريم للبحث عن نظائر الظن في السياق القرآني فلم يجد سوى مشتقين للفظة الحسبان في آيتين:

الأولى: قوله تعالى: [**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ...**] {البقرة:273} .

يقول الإمام الطبري: القول في تأويل قوله: [**يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ**] يعني بذلك "يحسبهم الجاهل بأمرهم وحالهم أغنياء من تعففهم عن المسألة وتركهم التعرض لما في أيدي الناس صبراً منهم على البأساء والضراء"[1].

يقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: [**يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ**] "أي أنهم من الانقباض وترك المسألة والتوكل على الله بحيث يظنهم الجاهل بهم أغنياء" [2].

والآية الثانية هي قوله تعالى: [**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ...**] {النمل:44} .

فقد روي أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدوم بلقيس إلى مملكته أن يبنى لها على طريقها قصر من زجاج أبيض كالماء، ثم أرسل الماء تحته ووضع سريره

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن – محمد بن جريرالطبري – ج5 ص 590- تحقيق أحمد محمود شاكر-مؤسسة الرسالة ط1 1420هـ/2000م.

[2] الجامع لأحكام القرآن – لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ج3 ص 342- دار الحديث- القاهرة، ط2 1416هـ 1996م.

في صدره فجلس عليه، وفعل ذلك ليزيدها استعظاماً لأمره وتحققاً لنبوته، ومعلوم من حال الزجاج الصافي أن يكون كالماء، فلما أبصرت ذلك ظنته ماءً راكداً فكشفت عن ساقيها لتخوضه [1]!

فمن خلال تفسير كل من الإمام القرطبي والرازي يتبين لنا أن الحسبان في الآيتين وردت بمعنى الظن.

المبحث الثاني:أنواع الظن في السياق القرآني

يتنوع الظن في السياق القرآني إلى نوعين ظن محمود يثاب الإنسان عليه، وظن مذموم يأثم الإنسان به، وقد جعل الباحث كل نوع من هذين النوعين عنواناً لمطلب من مطالب هذا البحث، وذلك كما يلي:

المطلب الأول: الظن المحمود:

تتعدد وجوه الظن المحمود وصوره في السياق القرآني كظن المؤمن في الرخاء والشدائد والملمات بأن لا ملجأ إلا إلى الله وظنه أيضاً بملاقاة الله والوقوف بين يديه، وكذلك ظنه بملاقاة الحساب، والظن ضمن هذه الصور الثلاثة بمعنى اليقين.

أولاً: الظن بأن لا ملجأ إلا إلى الله:

وهذا الوجه من وجوه الظن هو من الظن المحمود الذي يرضي ربنا جلَّ في علاه ومن أمثلته قوله تعالى: [**وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**] {التوبة:118} .

يقول الإمام السمرقندي في قوله تعالى: [**وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ**] "يعني علموا وأيقنوا أن لا مفر من عذاب الله إلا إليه يعني بالتوبة إليه" [2].

---

[1] انظر: "التفسير الكبير" – للفخر الرازي – م12 ج23 ص 201، 202.

[2] بحر العلوم – لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي – ج2 ص93.

وهؤلاء الثلاثة هم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية الواقفي وكلهم من الأنصار تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يقبل النبي ﷺ توبتهم حتى نزلت توبتهم في القرآن بأن الله قد تاب عليهم، وقد أخروا عن قبول التوبة إلى أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وذلك بإعراض الناس عنهم، وعدم مكالمتهم من كل أحد لأن النبي ﷺ نهى الناس أن يكلموهم حتى ضاقت صدورهم بما نالهم من الوحشة وبما حصل لهم من الجفوة، وقد عبر بالظن في قوله: **[وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ]** عن العلم، أي علموا أن لا ملجأ يلجئون إليه قط إلا إلى الله ﷻ بالتوبة والاستغفار وقوله: **[ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا]** أي رجع عليهم بالقبول والرحمة وأنزل في القرآن التوبة عليهم ليستقيموا أو وفقهم للتوبة فيما يستقبل من الزمان إن فرطت منهم خطيئة ليتوبوا عنها ويرجعوا إلى الله ويندموا على ما وقع منهم، وقوله: **[إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ]** أي الكثير القبول لتوبة التائبين، **[الرَّحِيمُ]** أي الكثير الرحمة لمن طلبها من عباده [1].

ومعنى ضيق الأرض الوارد في الآية الكريمة بمعنى أن الأرض رغم سعتها كانت كالضيقة عليهم، وذلك كناية عن غمهم وتنكر المسلمين لهم حتى تخيلوا الأرض في أعينهم كالضيقة عليهم وهي الموصوفة بسعتها المعروفة، والظن هنا مستعمل بمعنى اليقين وهو من معانيه الحقيقية، والمعنى: أيقنوا أن أمر التوبة عليهم موكول إلى الله دون غيره بما يوحي به إلى رسوله، أي التجأوا إلى الله دون غيره وهذا كناية عن أنهم تابوا إلى الله وانتظروا عفوه واللام في **[لِيَتُوبُوا]** للتعليل، أي تاب عليهم لأجل أن يكفوا عن المخالفة ويتنزهوا عن الذنب، فالفعل مستعمل في معنى الدوام على التلبس بالمصدر وليس المراد ليذنبوا فيتوبوا إذ لا يتناسب مقام التنويه بتوبته عليهم، وأما جملة **[إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ]** تذييل مفيد للامتنان[2].

---

[1] انظر: "فتح القدير" – للشوكاني – ج2 ص 413، 414.

[2] انظر: "التحرير والتنوير" – لابن عاشور – م6 ج11 ص 52-54.

فمن خلال ما سبق يتبين للباحث أن الظن في الآية الكريمة وردت بمعنى العلم أو اليقين ويمكن الجمع بين المعنيين بالقول أنه بمعنى العلم اليقيني الذي لا شك فيه وهو من الظن المحمود الذي يثاب صاحبه عليه لأنه حسن ظن بالله ﷻ.

ثانياً: الظن بملاقاة الله:

إن الظن بملاقاة الله ﷻ من صفات عباد الله المتقين الذين يؤمنون بالغيب ويوقنون بأن ما جاء به الرسول ﷺ من ربه هو الحق، وهذا من الظن المحمود والاعتقاد القويم الذي يرضي العزيز الحكيم جلَّ في علاه، وقد ورد هذا الخلق العظيم في آيات كثيرة وكلها وردت في مقام المدح والثناء، ومن هذه الآيات:

1- قوله تعالى: [**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**] {البقرة:46}، وهذا من تمام الكلام الذي قبله، أي أن الصلاة لثقيلة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم، أي يعلمون أنهم محشورون إليه يوم القيامة معروضون عليه وأنهم إليه راجعون، أي أمورهم راجعة إلى مشيئته يحكم فيها ما يشاء بعدله، فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سهل عليهم فعل الطاعات وترك المنكرات والعرب تسمي اليقين ظناً، وجاء القرآن موافقاً لذلك [1].

يقول ابن عطية الأندلسي: "والظن على هذا بمعنى اليقين وهو فيما لم يقع بعد ولا خرج إلى الحس" [2].

---

[1] انظر: "تفسير القرآن العظيم" – للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي –ج1 ص 88- دار إحياء الكتب العربية.

[2] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – لأبي عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ج1 ص 334-دار الكتب العلمية –بيروت.

ويقول الإمام النسفي في تفسير قوله تعالى: [**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**]أي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفسر [**يَظُنُّونَ**] بـ "يتيقنون" لقراءة عبد الله بن مسعود "يعلمون" أي يعلمون أنه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك، وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه خالصة" [1].

2- ومن الآيات أيضاً قوله تعالى: [**... قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**] {البقرة:249} ، فالذين يظنون أنهم ملاقوا الله "هم الخلص منهم الذين نصبوا بين أعينهم لقاء الله وأيقنوه، أو الذين يتيقنوا أنهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله، والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة" [2].

فهذه هي القاعدة في حس الذين يوقنون أنهم ملاقوا الله، القاعدة أن تكون الفئة المؤمنة قليلة لأنها هي التي ترتقي الدرج الشاق حتى تنتهي إلى مرتبة الاصطفاء، والاختيار ولكنها تكون الغالبة لأنها تتصل بمصدر القوى ولأنها تمثل القوة الغالبة قوة الله الغالب على أمره، القاهر فوق عباده، محطم الجبارين، ومخزي الظالمين، وقاهر المتكبرين، وهم يكلون هذا النصر لله، ويعللونه بعلته الحقيقية [**وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**] فيدلون بهذا كله على أنهم المختارون من الله لمعركة الحق الفاصلة بين الحق والباطل، وتستمد يقينها كله من الثقة بالله، هذه الفئة الصابرة الثابتة التي لم تزلزلها كثرة العدو وقوته

---

[1] مدارك التنزيل وحقائق التأويل – لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي- تحقيق يوسف علي بديوي ج1 ص50- دار الكلم الطيب- بيروت ط1، 1419هـ/1998م.

[2] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – تأليف الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري – ج1 ص291- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1 1415هـ/1995م.

مع ضعفها وقلتها هي التي تقرر مصير المعركة بعد أن تجدد عهدها مع الله وتتجه بقلوبها إليه وتطلب النصر منه وحده [1].

ثالثاً: الظن بملاقاة الحساب:

وهذا ظن المتقين من عباد الله وخاصته وهم الذين اصطفاهم لميراث جنته، هم أهل اليمين الذين يتباهون أمام الخلق أجمعين، وقد أوتوا كتبهم بأيمانهم يوم القيامة بعد أن ظنوا أنهم ملاقين حسابهم وهم في الدنيا، هؤلاء الذين يصور الله عظيم فرحتهم في يوم سعدهم وحصادهم بقوله: [**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ**] {الحاقَّة: 19-24} .

ومعنى ظننت في الآية الكريمة، أي أيقنت وعلمت وهذا القول عن ابن عباس وغيره، وقيل المعنى ظننت أن يؤاخذني الله بسيئاتي فيعذبني فقد تفضل عليَّ بعفوه ولم يؤاخذني بها، قال الضحاك: كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين، ومن الكافر فهو شك، وقال الحسن في هذه الآية: إن المؤمن أحسن الظنَّ بربه فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن بربه فأساء العمل، وقوله: [**إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ**] أي في الآخرة ولم أنكر البعث، يعني أنه ما نجا إلا بخوفه من يوم الحساب لأنه تيقن أن الله يحاسبه فعمل للآخرة [2].

ويقول الإمام الثعالبي في تفسيره: "وقوله: [**إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ**] عبارة عن إيمانه بالبعث وغيره وظننت هنا واقعة موقع تيقنت وهي في

---

[1] انظر:"في ظلال القرآن" – للأستاذ سيد قطب – ج1 ص269- دار الشروق، الطبعة الشرعية السابعة عشرة 1412هـ/1992م.

[2] انظر: "الجامع لأحكام القرآن" – للقرطبي – ج18 ص259.

متيقن لم يقع بعد ولا خرج إلى الحس، وهذا هو باب الظن الذي يوقع موقع اليقين" [1].

وقد أورد الإمام الرازي عدة وجوه في تفسيره لقوله تعالى: [**إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ**] منها:

1- إني كنت أظن أني ألاقي حسابي فيؤاخذني الله بسيئاتي فقد تفضل عليّ بالعفو ولم يؤاخذني بها فهاؤم اقرءوا كتابي.

2- إني ظننت عند النظرة الأولى أني ملاق حسابيه على سبيل الشدة، وأما الآن فقد فرج الله عني ذلك الغم، وأما في حق الأشقياء فيكون ذلك على الضد.

3- ظننت أي علمت وإنما أجري مجرى العلم لأن الظنَّ الغالب يقام مقام العلم، يقال: أظنُّ ظناً كاليقين.

4- المراد إني ظننت في الدنيا أنه بسبب الأعمال التي كنت أعملها في الدنيا سأصل في القيامة إلى هذه الدرجات، وقد حصلت الآن على اليقين فيكون الظن على ظاهره لأن أهل الدنيا لا يقطعون بذلك [2].

ويقول الإمام ابن عاشور في قوله: [**إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ**] "إني علمت في الدنيا أني ألقى الحساب، أي آمنت بالبعث وهذا الخبر مستعمل كناية عن استعداده للحساب بتقديم الإيمان والأعمال الصالحة مما كان سبب سعادته، وجملة [**إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ**] في موقع التعليل للفرح والبهجة التي دل عليها قوله: [**هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**] وبذلك يكون حرف "إنَّ" لمجرد الاهتمام وإفادة التسبب" [3].

---

[1] الجواهر الحسان في تفسير القرآن – لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ج5 ص 475- دار إحياء الثراث العربي – بيروت ط1 1418هـ.

[2] انظر: "التفسير الكبير" – م15 ج30.

[3] "التحرير والتنوير" – م14 ج29.

ويرى الباحث أن أدق المعاني للآية القرآنية هو قول ابن عاشور ذلك لأن المؤمن الذي أيقن بالحساب والعقاب وأعدَّ نفسه لما هو آت من دار الخلود والبقاء يؤمن أن الإنسان لن يدخل الجنة بعمله، بل برحمة الله، ومع إيمانه ذلك يحسن الظن بالله، ويوقن أن الله لا يضيع أجر المحسنين، فكان يعلم وييقن أنه سيلقى هذا الفضل من الله، وهذا المصير عند الله سبحانه.

المطلب الثاني: الظن المذموم:

الظن المذموم ميادينه عديدة وصوره في القرآن كثيرة، فمنه ما هو ظن سيء في حق الخالق سبحانه، ومنه ما هو في حق أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، ومنه ما هو في حق عباد الله المؤمنين، ومنه ما هو ظن سيء باليوم الآخر، وكلها صور مذمومة، يأثم صاحبها ويعاقب عليه بين يدي الله سبحانه.

أولاً: الظن السيء بالله:

إن الخالق ﷻ الذي خلق الخلق وبسط الرزق وأبدع هذا الكون لا بد أن يوصف بكل صفات الكمال وأن ينزه عن كل صفات النقص كما لا بد للعباد أن يحسنوا الظن به ويثقوا بوعده ويعترفوا له بكمال قدرته وألا يظنوا به ظناً لا يليق بجلاله وعظمته، ولكن بعض الناس ممن لم تخالط بشاشة الإيمان قلوبهم وعشعش الباطل في نفوسهم يأبون إلا أن ينسبوا لله ما يتنافى مع مكانته ويظنوا به الظنونا والتي سأفصل بعض صورها.

1- الظن بعدم قدرة الله:

إن قدرة الله عظيمة فهو ﷻ على كل شيء قدير، والظن بعدم قدرته هو شك في صفة وصف نفسه بها جلَّ في علاه، وقد ورد هذا النوع من الظن في قوله تعالى: [**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**] {الأنبياء:87} ، وذا النون هو يونس عليه السلام والنون بمعنى الحوت، وكان يونس عليه السلام قد ذكَّر قومه طويلاً فلم يذكَّروا وأقاموا على كفرهم فترك قومه مغاضباً ظناً منه أن ذلك يسوغ حيث لم

يفعله إلا غضباً لله وأنفة لدينه وبغضاً للكفر وأهله، وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من الله في الهجرة عن قومه فابتلي ببطن الحوت، ومعنى مغاضبته لقومه: أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل عليَّ معاوية فقال: لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا بك، قال: وما هي يا معاوية، فقرأ هذه الآية وقال: أو يظُنُّ نبيُّ الله أن لا يقدر عليه؟ قال هذا من القدر لا من القدرة، على معنى أن لن نعمل فيه قدرتنا وأن يكون من باب التمثيل، بمعنى فكانت حالة ممثلةً بحال من ظن أن لم نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمر الله، ويجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يحدث مع أي مؤمن تساوره نزغات الشيطان في وقت من الأوقات، ثم تزول عنه [1] كما في قوله تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا]** {الأحزاب: 9-10} .

يقول الإمام القاسمي: "وصح أن معنى قوله: **[فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ]** أي لن نضيق عليه كما قال تعالى: **[وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ]** {الفجر:16} أي ضيق عليه فظن يونس عليه السلام أن الله تعالى لا يضيق عليه في مغاضبته لقومه إذ ظنَّ أنه محسن في فعله ذلك"[2].

---

[1] انظر: "الكشاف" – للزمخشري – ج3 ص128، 129.

[2] محاسن التأويل – محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد باسل عيون السود، ج7 ص 215- دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1418هـ.

وقال الإمام الخازن في قوله: [**فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ**] {الأنبياء:87} ، "أي لن نقضي عليه العقوبة، قاله ابن عباس في رواية عنه، وقيل معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس، وقيل معناه فظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه" [1].

وقد أورد الإمام ابن عاشور عدة تأويلات لقوله تعالى:[**فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ**] منها:

1- قيل أنَّ "نقدر" مضارع الفعل "قدر" بمعنى ضيق، ومنه قوله تعالى: [**اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**] {الرعد:26} ، واستشهد الإمام ابن عاشور برواية ابن عباس مع معاوية بن أبي سفيان التي ذكرت آنفاً.

2- وقيل نقدر هنا بمعنى نحكم مأخوذ من القدرة، أي ظن أن لن نؤاخذه بخروجه من بين قومه دون إذن، ونقل هذا القول عن مجاهد وقتادة وغيره، وعلى هذا يكون يونس اجتهد فأخطأ، وعلى هذا الوجه فالتفريع تفريع خطور هذا الظن في نفسه بعد أن كان الخروج منه بادرةً بدافع الغضب عن غير تأمل في لوازمه وعواقبه.

3- وقيل معنى الكلام على الاستفهام بتقدير همزة محذوفة والتقدير: "أفظن أن لن نقدر عليه؟".

4- أما الإمام ابن عاشور وبعد سرد الأقوال السابقة فقد أورد تأويلين اجتهاداً منه في تفسير ذلك الظن:

التأويل الأول: أن يونس ظنَّ وهو في جوف الحوت أن الله غير مخلصه في بطن الحوت لأنه رأى أن ذلك مستحيلاً عادة، وعلى هذا يكون التعقيب بحسب الواقعة، أي ظن بعد أن ابتلعه الحوت، وأما نداؤه ربه فذلك توبة صدرت منه عن تقصيره أو عجلته أو خطأ اجتهاده، ولذلك قال: [**إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**] مبالغة في اعترافه بظلم نفسه.

---

[1] "لباب التأويل في معاني التنزيل" – تأليف علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، الشهير بالخازن ج3 ص241- دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط1، 1415هـ/1995.

التأويل الثاني: أنه ظن بحسب الأسباب المعتادة أنه يهاجر من دار قومه ولم يظهر أن الله يعوقه عن ذلك إذ لم يسبق إليه وحي من الله [1].

والذي يميل إليه الباحث وتطمئن إليه نفسه من الأقوال السابقة هو التأويل الأول لابن عاشور حيث إن الظن بعدم قدرة الله كان ظناً حقيقياً من يونس عليه السلام، وذلك حين كان في بطن الحوت حيث إنه في المقاييس المادية والبشرية اعتبر أن العودة إلى عالم الحياة الدنيا من بطن الحوت كان مستحيلاً، ولكن بمقاييس قدرة الله الذي خلق الحوت ليس مستحيلاً، فنبي الله يونس عليه السلام حين ظن ذلك كان في لحظات خوف وذهول وتصرف بحكم طبيعته البشرية، ومع ذلك فقد كان ظنه خلاف الأولى.

2- الظن بعدم نصر الله:

وعد الله المؤمنين بالنصر فقال سبحانه: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**] {محمد:7} ، بل إنه سبحانه وتعالى أوجب النصر على نفسه فقال: [**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**] {الرُّوم:47} ، لكن الذي عشعش الظن السيء في عقولهم ظنوا بعدم نصرة الله سبحانه وقد وصف الله سبحانه وتعالى ظنهم وردَّ عليهم بقوله تعالى: [**مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ**] {الحج:15} .

وقد أورد الإمام الحافظ ابن كثير عدة معانٍ لهذه الآية منها:

1. ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً ﷺ في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب، أي بحبل إلى سماء بيته ثم ليختنق به، وقد قاله مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة وغيرهم.
2. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم [**فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ**] أي ليتوصل إلى بلوغ السماء فإن النصر يأتي محمداً ﷺ من السماء [**ثُمَّ لِيَقْطَعْ**] ذلك عنه إن قدر على ذلك.

[1] انظر: "التحرير والتنوير" – م8 ج17 ص131، 132.

ويرجح الإمام ابن كثير قول ابن عباس ومن معه قائلاً: وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى وأبلغ في التهكم، فإن المعنى: من كان يظن أن الله ليس بناصر محمداً ﷺ وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه، فإن الله ناصره لا محالة [1].

ويقول الإمام النسفي: [**مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ**]: "والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن ظن من أعاديه غير ذلك [**فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ**] بحبل [**إِلَى السَّمَاءِ**] إلى سماء بيته [**ثُمَّ لِيَقْطَعْ**] ثم ليختنق به وسمي الاختناق قطعاً لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه" [2].

ويقول الإمام الشنقيطي: "إن الله يقول لحاسديه ﷺ الذين يتربصون به الدوائر ويظنون أن ربه لن ينصره موتوا بغيظكم فهو ناصره لا محالة على رغم أنوفكم" [3].

3- الظن بالله الظنون:

إن من الواجب على المؤمن أن يحسن الظن بالله دائماً وإن الظن بالله بغير ما يليق به هو ظن مذموم، ولقد ظن المؤمنون في غزوة الأحزاب بالله الظنونا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت حيث يصور الله ذلك بقوله: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**] {الأحزاب: 9-11} .

---

[1] انظر: "تفسير القرآن العظيم" –ج3 ص210.

[2] مدارك التنزيل وحقائق التأويل –ج2 ص 431.

[3] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد بن الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ج4 ص 286، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

لقد اختلفت الظنون بالله ورسوله والمؤمنين بين المنافقين والمؤمنين، فقد ظن المؤمنون النصر والظفر على الأحزاب الذين اجتمعوا من كل حدب وصوب لاستئصال دولة الإسلام في مهدها ووأد الإسلام في قلوب أبنائه قبل أن يتجذر فيها ويتمكن، وأما المنافقون فقد ظنوا استئصال محمد ﷺ وأصحابه وقالوا ما قاله الله على ألسنتهم: **[وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا]** {الأحزاب:12} .

حيث قال أهل النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله، هذا هو الغرور؛ ومن ضمن قولهم أيضاً: **[وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا]** {الأحزاب:13} .

والمعنى: يا أهل المدينة لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه فارجعوا عن منازلكم وقيل ارجعوا عن القتال، وقام فريق منهم يستأذن النبي ﷺ يقولون إن بيوتنا خالية ضائعة وهي مما يلي العدو ونخشى عليها السراق فكذبهم الله سبحانه مبيناً أنهم لا يخافون على بيوتهم إنما أرادوا الفرار من القتال [1].

"إنها صور الهول الذي روع المدينة، والكرب الذي شملها والذي لم ينج منه أحد من أهلها، وقد أطبق عليها المشركون من قريش وغطفان واليهود من بني قريظة من كل جانب من أعلاها ومن أسفلها فلم يختلف الشعور بالكرب والهول في قلب عن قلب، وإنما الذي اختلف هو استجابة تلك القلوب وظنها بالله وسلوكها في الشدة وتصوراتها للقيم والأسباب والنتائج، ومن ثم كان الابتلاء كاملاً والامتحان دقيقاً والتمييز بين المؤمنين والمنافقين حاسماً لا تردد فيه" [2].

---

[1] انظر: "لباب التأويل في معاني التنزيل" – للخازن – ج3 ص416، 417.

[2] "في ظلال القرآن" – سيد قطب – ج5 ص2837.

وبهذا يتبين لنا أن الذي ظن الظنون بالله هم المؤمنون والمنافقون، ولكن شتان بين ظن وظن، بين ظن المؤمنين الواثقين بنصر الله، وظن المنافقين المرجفين في المدينة، وهو الذي قصده الباحث ضمن الظنون المذمومة بالله سبحانه.

ثانياً: الظن السيء بأنبياء الله:

أنبياء الله ورسله هم صفوة خلقه اصطفاهم الله سبحانه لتبليغ الناس دينه وحثهم على الفضائل ونهيهم عن الرذائل، ورغم كل ذلك فقد أساء أقوامهم الظن بهم، واتهموهم بأقبح الصفات، وكذبوهم، وهذه بعض صور الظن السيء بأنبياء الله:

1- ظن الكذب بشعيب عليه السلام:

بعث نبي الله شعيب عليه السلام في قوم يخسرون الكيل والميزان فنهاهم عن الغش والخسران في الكيل والميزان ونصحهم بالوزن بالقسطاس المستقيم فظنوا به الكذب، ويصور الله ذلك بقوله: [**كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ المُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ * أَوْفُوا الكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ المُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ * وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ * قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الكَاذِبِينَ**] {الشعراء: 176-186}.

روي عن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف ولم يكن شعيب أخاهم، بل كان أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة، ثم إن شعيباً أمرهم بأشياء أحدها إتمام الكيل ونهاهم عن التطفيف وأمرهم بالوزن بالقسطاس المستقيم، أي الميزان العدل الذي لا اعوجاج فيه وألا يعثوا في الأرض مفسدين، وحثهم على تقوى الله سبحانه، وقد كان من بين إجاباتهم له قولهم: [**وَإِنْ نَظُنُّكَ**

لَمِنَ الكَاذِبِينَ] ومعناه ظاهر فلما استمروا على التكذيب أنزل الله عليهم العذاب[1].

ويقول المراغي في تفسير قوله تعالى: **[وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الكَاذِبِينَ]** "أي وإنا لنعتقد أنك ممن يتعمد بالكذب فيما يقول ولم يرسلك الله نبياً إلينا" [2].

* **[فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ]** {الشعراء:189}.

"قيل: أخذهم حر خانق شديد يكتم الأنفاس ويثقل الصدور، ثم تراءت لهم سحابة فاستظلوا بها فوجدوا لها برداً، ثم إذا هي الصاعقة المجلجلة المدوية تفزعهم وتدمرهم تدميراً، وكان ذلك يوم الظلة فالظلة كانت سمة اليوم المعلوم" [3].

وهذه عقوبة رادعة لمن تجرأ على رسل الله وأحب خلق الله إلى الله.

2- ظن الكذب بهود عليه السلام:

ما نال شعيباً وقومه نال هوداً أيضاً، وهي سنة من سنن الله أن يبتلى النبي بقومه يكذب مع أنه لقومه الصادق فيهم الأمين على مصالحهم، وفي ظن الكذب بهود عليه السلام من قومه يقول سبحانه: **[وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ المَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ]** {الأعراف: 65-67}.

---

[1] انظر: "التفسير الكبير" – للإمام الرازي – م12 ج24 ص164، 165.

[2] تفسير المراغي– أحمد بن مصطفى المراغي،19 ص 98- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،ط1، 1365هـ/1946م.

[3] في ظلال القرآن – ج5 – ص2615، 2616.

فالملأ الذين كفروا من قومه هم الجمهور والسادة والقادة الذين اتهموه بأنه في سفاهة، ومن الكاذبين، أي في ضلالة حيث دعاهم إلى ترك عبادة الأصنام وعبادة إله واحد كما تعجب الملأ من دعوتهم إلى عبادة إله واحد [1].

وقوله: [**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ**] في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر، وجعلت السفاهة ظرفاً مجازاً يعني أنه متمكن فيها غير منفك عنها [**وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ**] أي في ادعاء الرسالة فكان رده عليه السلام: [**قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**] {الأعراف: 67-68} .

وإنما قال هنا: [**وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**] لقولهم: [**وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ**] ليقابل الاسم بالاسم، وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من ينسبهم إلى الضلالة والسفاهة والكذب بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وإخبار الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم [2].

ويقول الأستاذ محمد رشيد رضا: قوله: [**وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ**] أي في دعوة الرسالة عن الله تعالى أكدوا ظنهم الآثم كما أكدوا ما قبله من تسفيههم الباطل وهو يتضمن تكذيب كل رسول إذ عبروا عن أصحاب هذه الدعوى بالكاذبين وجعلوه واحداً منهم والظن هنا على معناه"[3].

3- ظن الكذب بموسى عليه السلام: ومن الظن السيئ بأنبياء الله سبحانه ظن فرعون بموسى الكذب وقد ورد ذلك في موضعين من كتاب الله تعالى:

---

[1] انظر: "تفسير القرآن العظيم" – لابن كثير –ج2 ص224.

[2] انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل" – للنسفي –ج1 ص420.

[3] تفسير المنار– محمد رشيد بن علي رضا، ج8 ص 440- الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

الأول: في قوله تعالى: [**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا المَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الكَاذِبِينَ**] {القصص:38} .

والثاني: في قوله تعالى: [**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ**] {غافر: 36-37}.

يقول الإمام الواحدي في تفسيره لقوله تعالى: [**وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الكَاذِبِينَ**] "أي في ادعائه إلهاً غيري وأنه رسوله" [1].

وفي معنى هذا الظن يقول ابن عاشور رحمه الله تعالى: وقوله: [**وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الكَاذِبِينَ**] استعمل فيه الظن بمعنى القطع فكانت محاولته الوصول إلى السماء لزيادة تحقيق ظنه أو لأنه أراد أن يقنع قومه بذلك، ولعله أراد بهذا تمويه الأمر على قومه ليلقي في اعتقادهم أن موسى ادعى أن الله في مكان معين يبلغ إليه ارتفاع صرحه، ثم يجعل عدم العثور على الإله في ذلك الارتفاع دليلاً على عدم وجود الإله الذي ادعاه موسى، وقوله: [**مِنَ الكَاذِبِينَ**] يدل على أنه يعدُّه من الطائفة الذين شأنهم الكذب" [2].

ثالثاً: الظن السيئ باليوم الآخر:

يعد الظن السيئ باليوم الآخر من أنواع الظن السيئ التي وردت في القرآن الكريم حيث تتعدد صور هذا النوع وأشكاله وذلك على النحو التالي:

---

[1] الوسيط في تفسير القرآن المجيد – لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ج3 ص 399- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط1، 1415هـ/1994م.

[2] التحرير والتنوير – م10 ج20 ص123.

1- الظن بعدم قيام الساعة: ورد هذا النوع من الظن في سياق الحديث عن بعض صفات الكافرين حيث يصف الله حالهم في الضراء والسراء، فيقول سبحانه: [**لَا يَسْأَمُ الإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ**] {فصِّلت: 49-50} .

فقوله: [**وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً**] "إنكاراً منه للبعث والجزاء مع ما حظ به من النعمة والرخاء ودفع عنه من الضر والبلاء" [1].

فمعنى قوله تعالى: [**وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً**] "أي ما أظنها تقوم كما يخبرنا به الأنبياء أو لست على يقين من البعث، وهذا خاص بالكافرين والمنافقين فيكون المراد بالإنسان المذكور في صدر الآية الجنس باعتبار غالب أفراده لأن اليأس من رحمة الله والقنوط من خيره، والشك في البعث لا يكون إلا من الكافرين أو المتزلزلين في الدين المتطهرين بالإسلام المبطنين للكفر"[2].

وقد ذكر الله ﷻ في سياق القصص القرآني وتحديداً في سورة الكهف نموذجاً من النماذج البشرية التي بطرت نعمة الله واستبدلت شكر الله بالظن بقيام الساعة حيث يقول الله سبحانه متحدثاً عنه: [**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا**] {الكهف: 35-36} .

فقوله: [**مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا**] اغترار منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها ظنَّ أنها لا تفنى ولا

---

[1] النكت والعيون-لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي – تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ج5 ص 187- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

[2] فتح القدير – الشوكاني – ج4 ص522.

تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة، ولهذا قال: **[مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً]** أي كائنة" [1].

وبهذا نلاحظ أن الظن بعدم قيام الساعة صفة من صفات الكافرين وخلق من أخلاق المنافقين الذين يشككون بالآخرة عامة، ويظنون عدم قيام الساعة.

2- الظن بعدم البعث:

والظن بعدم البعث من الأمور التي يشكك بها الكافرون، بل يظنون عدم وقوعها، وهذا ما يصوره قوله تعالى: **[وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا]** {الجنّ:7} .

والمعنى أن الجن ظنوا كما ظننتم يا أهل مكة أن لن يبعث الله أحداً بعد الموت، أي أن الجن كانوا ينكرون البعث كإنكاركم، ثم بسماع القرآن اهتدوا وأقروا بالبعث فهلا أقررتم كما أقروا[2].

وهؤلاء النفر يصححون لقومهم ظنهم والقرآن في حكايته عنهم يصحح للمشركين أوهامهم، والمعنى أنهم ظنوا أنه لن يكون هناك بعث ولا حساب – كما ظننتم – فلم يعملوا للآخرة شيئاً وكذبوا ما وعدهم الرسول ﷺ من أمرها لأنهم كانوا لا يعتقدون من قبل فيها [3].

وبهذا نلاحظ أن أهل مكة كانوا قد أنكروا أن هناك حياة بعد الموت وأن هناك بعثاً وحساباً.

3- الظن بعدم الرجوع إلى الله:

---

[1] تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج3 ص83.

[2] مدارك التنزيل وحقائق التأويل – للنسفي – ج2 ص735 (بتصرف).

[3] انظر: "في ظلال القرآن" – للأستاذ سيد قطب – ج6 ص3729.

كذلك من صور الظن السيئ بالآخرة الظن بعدم الرجوع إلى الله ويصور الله ﷻ ذلك بقوله: [**وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ**] {القصص:39} .

وفي قوله: [**وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ**] "دليل على أنهم كانوا منكري البعث" [1].

ويقول ابن عاشور: [**وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ**] معلوم بالفحوى من كفرهم بالله وإنما صرح به لأهمية إبطاله فلا يكتفى فيه بدلالة مفهوم الفحوى ولأن في التصريح به تعريضاً للمشركين في أنهم وإياهم سواء فليضعوا أنفسهم في أي مقام من مقامات أهل الكفر، وقد كان أبو جهل يلقب عند المسلمين بفرعون هذه الأمة أخذاً من تعريضات القرآن الكريم.

ومعنى الظن هنا: أنهم ظنوا أن لا بعث ولا رجوع لأنهم كفروا بالمرجوع إليه [2].

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان – نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري – تحقيق الشيخ زكريا عميرات، ج5 ص 253- دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1416هـ.

[2] انظر: التحرير والتنوير – م10 ج20 ص124.

المبحث الثالث:عقوبات الظن المذموم

يلاحظ من خلال المطالب السابقة والتي تحدث الباحث فيها عن الظن المذموم وصوره وكيف أن هذا الظن قد طال الله تعالى وأنبياءه عليهم السلام حتى شك هؤلاء في وقائع اليوم الآخر، ولما كان جرم هؤلاء كبيراً جعل الله ﷻ عقوباتهم بحجم معاصيهم فتوعدهم بعقوبات دنيوية وأخروية وهذا ما سيفصله الباحث خلال المطالب التالية.

المطلب الأول: العقوبات الدنيوية:

يعد الظنُّ المذموم من العقوبات التي يعجلها الله ﷻ لأصحابها في الدنيا قبل الآخرة وهذه بعض العقوبات الدنيوية التي ذكرها القرآن الكريم.

1- البوار والهلاك:

البوار من نتائج الظن السيئ الذي ظنه المنافقون على أرض المدينة المنورة بالمؤمنين ورسولهم ﷺ حيث يصور الله ﷻ ذلك بقوله: [**بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا**] {الفتح:12} .

والظن السيئ الذي ظنه المنافقون أن الله تعالى لن ينصر رسوله ولا المؤمنين والذي زين ذلك في قلوبهم هو الشيطان، ومعنى قوله: [**وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا**] أي هلكى قاله مجاهد، وقال قتادة: فاسدين لا يصلحون لشيء من الخير.

يقول ابن أبي زمنين: "أصبحت أعمالهم بوراً، أي مبطلة، وأصبحت ديارهم بوراً، أي معطلة خراباً" [1].

---

[1] تفسير القرآن العزيز – لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري المعروف بابن أبي زمنين – تحقيق أبي عبد الله حسين بن عكاشة،ومحمد بن مصطفى الكنز، ج4 ص 253- مطبعة الفاروق الحديث- مصر، ط1، 1423هـ/2002م.

والبور جمع بائر مثل حُوْل وحائل، وبار فلان أي هلك، وأباره الله أي أهلكه [1]، يقول الجوهري: "البور الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه" [2].

ويذكر الأستاذ سيد قطب سوء ظن المنافقين بالله وذلك في سياق تفسيره للآية الكريمة فيقول: وهكذا يقفك المنافقون مكشوفين أمام ما أضمروا من نية، وما ستروا من تقدير، وما ظنوا بالله من السوء، وقد ظنوا أن الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين ذاهبون إلى حتفهم فلا يرجعون إلى أهليهم بالمدينة، ولم يحسبوا حساباً لرعاية الله وحمايته للصادقين المتجردين من عباده، وذلك بسبب تصويرهم للأمور وخلو قلوبهم من حرارة العقيدة، لقد ظنوا ظنهم، وزين هذا الظن في قلوبهم حتى لم يروا غيره، ولم يفكروا في سواه، وكان هذا هو ظن السوء بالله الناشئ من أن قلوبهم بور، وهو تعبير عجيب موح، فالأرض البور ميتة جرداء، وكذلك هم بكل كيانهم بور، لا حياة ولا خصب ولا إثمار وما يكون القلب إذ يخلو من حسن الظن بالله لأنه انقطع عن الاتصال بروح الله؟ يكون بوراً ميتاً نهايته إلى البوار والدمار [3].

2- زوال النعمة:

نعم الله على عباده لا تعد ولا تحصى، ولا بد أن تقابل النعم بشكر المنعم عليها وحسن الظن به سبحانه وسوء الظن به أو التنكر لأي ركن من أركان الإيمان به يسبب سخطه وانتقامه وزوال نعمة، وقد ضرب الله لنا في ذلك مثلاً في صاحب الجنة الذي شك بالساعة وظن بعدم قيامها فعوقب بزوال نعمة الله عنه، وفي ذلك يقول سبحانه: **[وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا**

---

[1] انظر: "الجامع لأحكام القرآن" – للقرطبي – ج16 ص285.

[2] المختار الصحاح – للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ج2 ص597- دار الفكر- بيروت.

[3] انظر: "في ظلال القرآن" – ج6 ص3322.

مُنْقَلَبًا] {الكهف: 35-36} ، فكان نتيجة هذا الظن السيئ ما ذكره الله في قوله تعالى: **[وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا]** {الكهف:42} .

فقوله: **[وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ]** يعني أحاط العذاب بثمر جنته، وذلك أن الله أرسل عليها من السماء ناراً فأهلكها، فأصبح صاحبها يصفق بكف على كف ويقلب كفيه ظهراً بظهر تأسفاً وتلهفاً وندماً على ما أنفق عليها وعلى عمارتها **[وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا]** أي ساقطة سقوفها، وقيل إن كرومها المعرشة سقطت عروشها في الأرض [1].

وبهذا يتبين أن سوء الظن بالله وعدم الإيمان بغيبياته سبب من أسباب غضب الله وزوال نعمته.

3- دائرة السوء:

فمن العقوبات الدنيوية للظن المذموم أن أصحابه تدور عليهم دائرة السوء في الدنيا، وهذا ما يبينه الله ﷻ حيث يقول: **[وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ...]** {الفتح:6}.

فقوله: **[عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ]** "يحتمل أن يكون خبراً أو دعاء" [2].

والمراد ظنهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين فاتحين، وقوله: **[عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ]** أي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم، والسوء الهلاك والدمار [3].

---

[1] انظر: "لباب التأويل في معاني التنزيل" – للإمام الخازن – ج3 ص165.

[2] التسهيل لعلوم التنزيل – لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزي الكلبي الغرناطي- تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي– ج2 ص 287' شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ط1، 1416هـ.

[3] انظر: "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" – للنسفي – ج2 ص570.

وقد جمعت الآية الكريمة بين المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات بصفة واحدة وهي صفة ظن السوء بالله وعدم الثقة بنصرته للمؤمنين وفي أنهم جميعاً عليهم دائرة السوء فهم محصورون فيها، وهي تدور عليهم وتقع بهم، ذلك أن النفاق صفة مرذولة لا تقل عن الشرك سوءاً ولأن أذى المنافقين والمنافقات لا يقل عن أذى المشركين والمشركات، وإن اختلف هذا الأذى وذاك في مظهره ونوعه، فالمنافقون والمشركون يتوقعون الشر والسوء للمؤمنين كلما كانت ظواهر الأمور توحي بهذا على غير ثقة بقدر الله وقدرته وتدبيره الخفي اللطيف [1].

لذا يجب دائماً على المؤمن أن يحسن الظن بالله، ويتوقع منه الخير دائماً في السراء والضراء، ويؤمن بأن الله يريد به الخير في الحالين.

المطلب الثاني: العقوبات الأخروية:

بالإضافة إلى العقوبات الدنيوية السابقة التي يعاقب الله ﷻ بها أصحاب الظن المذموم يتوعدهم سبحانه بعقوبات أخروية وهي:

1- الدعاء بالثبور:

وفي ذلك يقول سبحانه: [**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا**] {الانشقاق: 10-15}.

فقوله: [**فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا**] أي بالهلاك، فيقول يا ويلاه يا ثبوراه، ثم يُدْخل النار حتى يصلى بحرِّها وسبب هذه العقوبة ظنه في الدنيا أنه لن يحور، أي لن يرجع حياً مبعوثاً فيحاسب ثم يثاب أو يعاقب [2]، فالحَوْر في كلام

---

[1] في ظلال القرآن – ج6 ص3319 (بتصرف يسير).

[2] انظر: "الجامع لأحكام القرآن" – للقرطبي – ج19 ص262.

العرب الرجوع والنقصان، ومنه قوله ﷺ: (**اللهم إني أعوذ بك من الحَوْر بعد الكَوْر**) [1]، يعني من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة.

ويقول الإمام النسفي في قوله تعالى: [**إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا**] بالكفر يضحك ممن آمن بالبعث وينقل كلام ابن عباس رضي الله عنهما حيث يقول: ما عرفت تفسير قوله تعالى: [**إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ**] حتى سمعت أعرابية تقول لبنتها حُورِي أي ارجعي، وحول قوله تعالى: [**فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا**] يقول النسفي: يقول يا ثبوراه والثبور هو الهلاك [2].

2- القبح ودخول النار يوم القيامة:

هذه عقوبة أخروية لمن أساءوا الظن بالله وظنوا عدم الرجوع إليه وعدم البعث والحساب بين يديه، وهي صفات وصف الله بها حال فرعون وأتباعه يوم القيامة حيث يقول سبحانه: [**وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي اليَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيَامَةِ هُمْ مِنَ المَقْبُوحِينَ**] {القصص: 30-42}.

بين سبحانه بعض صفاتهم يوم القيامة ومنها أنهم من المقبوحين، أي المبعدين الملعونين، فالقبح هو الإبعاد، يقال قبحه الله، أي نحاه عن كل خير، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي من المشئومين بسواد الوجه وزرقة العين، فالأولون حملوا القبح على القبح الروحاني، وهو الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى، والباقون حملوه على القبح في الصور، وقيل إن الله تعالى يقبح صورهم ويقبح عليهم عملهم ويجمع لهم بين الفضيحتين [3]، وهذا ما يميل إليه الباحث.

---

[1] صحيح مسلم – كتاب الحج – باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره – ج2 ص979.

[2] مدارك التنزيل وحقائق التأويل – ج2 ص789.

[3] انظر: "التفسير الكبير" – للفخر الرازي – م12 ج24 ص256.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله خاتم النبوات والرسالات، وعلى آله وأصحابه ومن سار على هديه إلى يوم الدين ... ثم أما بعد:

فإني أحمد الله تعالى أن هداني لاختيار موضوع من موضوعات كتابه وأعانني على كتابته والوصول إلى نهايته وخاتمته، فله الحمد والمنّة في الأولى والآخرة وله الشكر من قبل ومن بعد.

نتائج البحث:

1- الظن في اللغة لها معانٍ عديدة منها: التهمة والوهم والتردد وخلاف اليقين وتدل على اليقين أحياناً وعلى العلم أيضاً.

2- إن التعريف الجامع والمانع والحاصر للظن اصطلاحاً: "هو الاعتقاد الذي يقارنه تجويز النقيض ويستعمل في اليقين والشك".

3- وردت لفظة ظن ومشتقاتها في القرآن الكريم في اثنين وستين موضعاً موزعة على ثلاث وخمسين آية وثلاث وثلاثين سورة موزعة على الآيات المكية والمدنية على النحو التالي:

أ- وردت في الآيات المكية في خمس وأربعين موضعاً موزعة على أربعين آية وأربع وعشرين سورة.

ب- وردت في الآيات المدنية في سبع عشرة موضعاً موزعة على ثلاثة عشرة آية وتسع سور.

4- الآيات التي وردت لفظة الظن ومشتقاتها في سياقها تتحدث عن موضوعات تتناسب وتنسجم مع المرحلة التي نزلت خلالها ومع طبيعة الدعوة وحالة المدعوين، فالآيات المكية تحدثت عن الظن السيئ والمذموم الصادر من كفار مكة كظنهم بنبيهم الكذب والسحر والجنون وظنهم بعدم البعث والنشور والحساب، وظنهم بأن الساعة قائمة، وبأن الله لا يعلم كثيراً مما

يعلمون، أما الآيات المدنية فتتحدث عن ظن المنافقين بالله وبالمؤمنين ظن السوء خاصة وأن ظهور المنافقين كان في العهد المدني وبعد الهجرة.

5- من نظائر الظن في القرآن الكريم "الحسبان" وردت مشتقاتها في موضعين، وذلك في سورتي البقرة والنمل.

6- الظن في القرآن الكريم ينقسم إلى ظن محمود وظن مذموم.

7- من وجوه الظن المحمود في القرآن الكريم الظن بأن لا ملجأ إلا إلى الله والظن بملاقاة الله والظن بملاقاة الله والحساب بين يديه.

8- من وجوه الظن المذموم الظن السيئ بالله كالظن بعدم قدرته والظن بعدم نصره والظن بالله الظنون.

9- من وجوه الظن المذموم الظن السيئ بأنبياء الله كظن الكذب بشعيب وهود وموسى عليهم السلام.

10- من وجوه الظن المذموم الظن السيئ باليوم الآخر كالظن بعدم قيام الساعة والظن بعدم البعث والظن بعدم الرجوع إلى الله.

11- من عقوبات الظن المذموم الدنيوية البوار والهلاك وزوال النعمة ودائرة السوء.

12- من عقوبات الظن المذموم الأخروية الدعاء بالثبور ودخول النار يوم القيامة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين